وفى موقف آخر يلجأ أحد الدارسين الذين يتحلون نسبيا بالشجاعة فى خوض غمار المسلك النقدى إلى إضافة ما يشبه محسنات المذاق التى تستخدم مع العقاقير أو الأدوية ويطلق عليها فى الإنجليزية Sugarcoating وكأنما نحن أمام جرعات تتسم بالمرارة، فيتجنب استخدام كلمة "نقد" ويلجأ الى كلمة "ملاحظات" بدلا منها بحجة "أن النفس البشرية جبلت على كراهية من ينتقد صاحبها وأعماله، ودائما تنتصر لذاته وان لم يصب جل الصواب فى كل أعماله، كما أن كلمة "ملاحظات" أخف وطئا على السمع وأقل أثرا على نبضات القلب وأحب تداولا على شفاه البعض"[١٦] وفى وضع على هذا النحو من الحساسية المرضية فإن المرء لا يملك إلا أن يقول "لاحول ولاقوة إلا بالله" حقا وصدقا.. فإذا كانت هذه التحفظات تساق لأن الكاتب سيقول إن هذا العمل ينقصه كذا وكذا، أو لو أنه أضاف هذه الفكرة، أو لو وسع هذا الفصل، أو لو اطلع على ذلك المصدر... إلى آخره، مما يقال فى مجال علمى متخصص ودورية علمية متخصصة أيضا، فمعناه أننا وصلنا الى "المنحنى الأرضى" الذى وصف به نفس الكاتب فى موضع آخر حالنا ثانية مع العلم والفكر والنقد، فلا استجابة لقيم السلوك الفكرى، مع أن العماد الاصفهانى* أبرزها بوضوح منذ ثمانية قرون خلت عندما أرسل قولته المشهورة: "إنى رأيت أنه لايكتب أحد كتابا فى يومه إلا قال فى غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

---

* عماد الدين محمد الأصفهانى (٥١٩-٥٩٧هـ، ١١٢٥- ١٢٠١م) مؤرخ عربى ولد بأصفهان وتعلم ببغداد وعاش بدمشق واتصل بصلاح الدين. من مؤلفاته الفتح القسى، فى الفتح القدسى.راجع الموسوعة العربية الميسرة /إشراف محمد شفيق غربال. بيروت: دار نهضة لبنان، ١٩٨٠. ج١ ص ٩٦٨.
وأيضا: خير الدين الزركلى. الأعلام. قاموس تراجم ... ط٢ [دم: دن، دت] ج٣ ص ٢٥٣.